# الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الاستاذ حسنى طه شكيبان

## ٣ — كون النور والضياء

من النور بدأنا ، وإلى النور نعود : «الله نور السموات والأرض».

من فيض الحق نبعنا ، وإلى رحاب الله نعود : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

من روح الكريم انطلقنا فى الوجود خلفاء بأمره ، وأسجد لنا ملائكته الكرام وعلمنا من فيضه الأزلى النورانى ، علم الأسماء كلها من فوق طاقة الملائكة ، ومن مجال أرقى :

« إنى جاعل فى الأرض خليفة . »

« وعلم آدم الأسماء كلها . »

« فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون » .

تلك حقيقة الحقائق لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، لمن أراد سموا لا حد له ، وعلماً لا حصر فيه ، وسبحاً مع النور فى آفاق النور آية من النور الأعظم رب الوجود وملك الوجود وضياء الوجود وبهاء الوجود ورحمن الوجود :

الله نور السموات والأرض .

حقيقة تضع الإنسان فى مقامه ، وتكلفه من الأعباء أحمالا جساماً — هو لها وهى له — أعباءاً شفقت منها السموات والأرض والجبال — على عظم شأنها — وحملها الإنسان وهو بانصرافه عن حقيقة قدره يغفل عن رسالته ؛ ويتهاون فى حمل أمانته « إنه كان ظلوماً » لنفسه فما عرفها ، « جهولا » برسالته فما وعاها ولا قام بها : «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا . »

وإن هذا الصوت الحق فى مجال المعرفة ، بعد ما أفاء الله على الإنسانية من كشف فى آيات الوجود المادى — فى عصر الذرة والالكترون

والطاقة — عصر النور والضياء ذلك ليطلع الإنسان على حقيقتيه : نوره فى المادة ونوره فى العقل والنفس وفى الروح . فجسده من المادة ، والكون المادى بشموسه وأقماره وكواكبه من الكهربا والنور فجسده الحى — خلاصة هذا النور ، وعقله ونفسه رقائق هذا الضياء ، وروحه حقيقة النور فى أدق معانيه وأروعها !

لقد بهرت الأنسانية كشوفها فى مجال المادة والطاقة ، فكيف تعمى بالمظهر عن المخبر ؟ بالذى يفنى ويتحول عن الحى الخالد الذى يرقى ويتصعد ؟

فلتأت آيات الله فى النفس والكيان الحى ، كما تأتت فى الآفاق المادية

« ليعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وان الله قد أحاط بكل شىء علماً . »

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . »

« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »

فليكن شعار الإنسانية منذ اليوم : ماذا فى الكيان النفسى والعقلى ؟ ماذا فى الكافة الروحيـــة التى استمدت شعاعها من نور الوجود الأعظم . ؟

فاذا أمسكت بأنفاسها بهراً ودهشة أمام طاقة الذرة المستقرة فى أصغر شىء فى المادة ، فلتنتظر أروع طاقة وأجل سمو فى طاقة النفس وآفاق العقل وسمو الروح ، ولأمر ما قال الحق الأعظم : فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ، ودعانا للغوص فى أعماق محيط النفس : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون . »

## الكون فى القرآن الكريم :

ومن قبل أعلن القرآن الكريم وحدة بداية السموات والأرض فى طبيعة واحدة تطورت نحو الكمال فى ستة أطوار : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى ، أفلا يؤمنون . »

والخطاب فى حقيقته لكفار اليوم الذين يرون بعلومهم روعة الصنعة ثم يجحدون قدرة الخلاق العظيم . وقال : « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً . »

ونحن لانرى من السموات شيئاً وإنما نرى زينـــة السماء الأولى من نجوم وشموس وكواكب « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . » ، والأرض نفسها سبعة أطباق فى عوالم المادة متسامية

لاندريها : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن . » فليس هناك فراغ لا فى أرض ولا فى سماء ولا فيما بينهما « ويخلق ما لا تعلمون » « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون »

وبداية الكون المادى من طبيعة النور حقا كما يقول العلم المادى : « الله نور السموات والأرض . »

« ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت . » وفى القرآن حديث الذرة وما هو أصغر منها « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » « وكل شىء عنده بمقدار » والسموات تعج بسكانها من خلائق النور : « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » ويقول الرسول الكريم :

« خلق الله الملائكة من النور ، والجان من مارج من نار ، وآدم مما وصف لكم .. » وفيما وصفه القرآن الكريم لنا عن الإنسان نبحث : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

## الإنسان والنبوات فى القرآن :

ولا نجد أروع بيانا من قول الله العظيم للملائكته عن الإنسان : « إنى جاعل فى الأرض خليفة . » « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » وجعل الكون جميعا فى خدمته ومجالا لتسخيره وبحثه : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه . » والملائكة من جنوده « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . » وهم أولياء المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويستغفرون لمن فى الأرض، والله العظيم يصلى معهم على المؤمنين ليخرجهم من الظلمات إلى النور — حقيقة كيانهم الأول — ونفخت فيه من روحى — الله

نور السموات والأرض ومن هنا ظهرت شفافية المؤمنين النورانية فى الدنيا .

والناس فى درجة نورانيتهم متفاوتون بقدر ما أحسوا بكيانهم النورانى العظيم ولذلك قال الرسول: « من عرف نفسه عرف ربه . » والأنبياء أجـــل الناس قدراً ، وأعرفهم بحقيقة كيانهم النورانى ، وأرفعهم مكانة لدى نور الوجود الأعظم ، فلكل نبى سماء يقعد أستاذاً بها لسكانها من خلائق الله الكريم من السماء الأولى حتى السابعة حيث يجلس فيها ابرهيم الخليل كما ورد فى حديث الإسراء . « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . »

ولكن واحداً منهم تعلن حقيقته النورانية فى الدنيا قبل الآخرة فى أروع مقام :

محمد الكريم فى الوجود :

« يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » . فكما جعل الشمس سراجاً للمجموعة الشمسية بها حياتها ونورها وتطوردا فكذلك جعل محمداً سراج الحياة ، ونور الهدى ، وهو لذلك الداعى الأكبر إلى الله بإذنه ، وهو الشهيد الأعلى على الكائنات كلها ، وقال :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . » فالنور هنا هو السراج فى الآية السابقة وكتابه روح الهدى ، ونور السلوك إلى الله فى معارج الكمال :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا !! » .

« فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

وفى التعبير بأنزل معه حكمة رائعة لمن أراد ، فهو قبل أن يشرق نوره على الأرض فى الثوب البشرى كان هناك فى عالم النور عند الله قبل الكائنات ، مع أنوار النبوة الهادية حيث أخذ الله على الإنسانية ميثاقاً : « ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا . »

وحيث أخذ على الأنبياء ميثاق تكريم أكبر لحبيبه محمد : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا : أقررنا . ؟ قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . » ونظيره أروع موقف للتكريم يوم يقوم الناس لرب العالمين : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » موقف الأزل وموقف الأبد ، وليس ذلك بعجيب على من جعله الله رحمة للعالمين أجمعين : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وكتابه كذلك للعالمين أجمعين : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . » والعالمون هنا هم العالمون المربوبون برحمة الله والمطالبون بحمده : « الحمد لله رب العالمين . . » عوالم الكون المادى والسموات وما فوق السموات مما لا يعلمه إلا الله . . . حتى ليقول لجبريل الأمين وما الرحمة التى وصلتك منى يا أخى ياجبريل ، فيقول : والله ما أطمأنت على نفسى حتى نزل عليك فى القرآن : إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . »

## نتيجة النتائج :

فإذا كان الكون المادى والسموات من النور بداءة وحقيقة وعلماً وقرآنا . فالإنسان قبس كريم من روح الله ونوره وبذلك علم العلم كله بدءاً دون الملائكة ، وبذلك صار خليفة الله المقصود من خلق الكون كله والمسخر فى خدمته ولرقيه : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » والأنبياء فى موكب النور الإنسانى العظيم قادة وأساتذة الوجود العاقل فى الأرض والسموات ومحمد الكريم القائد الأعلى ، والشهيد المشهود ، ونور الله السارى فى الضمائر والأرواح حبا لله وشوقاً إليه « الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » فمن لم يصدق بحديث أوليه النور المحمدى لجابر الأنصارى فليصدق بالعلم ويقول الحق الأعظم : « وسراجا منيراً » « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »